مدافعون وخصمهم مهاجم ومنها انهم يتوقعون ان يثور أبناء جنسهم في مستعمرة الرأس على خصمهم اذا لم يبقوا فيها حامية كافية لمنع الثورة. وابقاء الحامية مفرق لقوتهم ومضعف لهم والظاهر ان بريطانيا العظمى على عظمتها انما تقدر على التنكيل بالترنسفال بالمطاولة لا بالمناجزة. ولا عار على امة ان تغلبها أمة يزيد عدد رعاياها على عددها اكثر من ثلاثمائة ضعف. ولها الفخر الاكبر والشرف الأعلى في الشجاعة اذا هي طاولتها في القتال. او كانت الحرب بينهما سجال. فكيف اذا هي ظفرت ولو في بعض الاحوال -

هذا خير مثال للامم الحية والامم التي تعد في الموتى وبه يفهم قول اللورد سالسبري ان الامم الحية تزداد حياة والمائتة تزداد موتاً. ولكننا بيّنا ان الامم التي ظهر فيها الانحلال يجوز ان ترجع الى صحتها بازالة العوارض التي طرأت عليها فغلبت التحليل على التركيب. فعسى ان يكون في كلامنا موعظة وذكرى

(وما يتذكر الا من ينيب)

باب التربية والتعليم

(اميل القرن التاسع عشر)

(٢) من اراسم الى هيلانه في ٦ يناير سنة ١٨٥٠

حدث بالامس بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحا ضباب كثيف غمر الشاطئ كله والعادة في مثل هذه الحالة ان تدق الاجراس ايذاناً بالخطر فلذلك طفقت اجراس القرية القريبة من السجن تطنطن وتيسر لي ان أفهم المقصود من هذه الاشارة. الساحل المحدق بنا ممتلئ بالاخطار لان الرمال المتحركة ومستنقعات الماء الراكد والمد والجزر كلها حبائل تترقب

اصطياد السائح الضال كامنة له تحت استار الضباب لذلك تناديه أصوات الاجراس وتحذره من الوقوع في الخطر وترشده بصدرها الى الطريق الذي يلزمه سلوكه ليصل الى سفح الجبل اسرع مايكون . وقد سألت في مساء هذا اليوم سجاناً لنا يسكن اهله القرية عما حدث فأخبرني بان طفلين مسكينين قد فاجأتهما أمواج البحر في ابان المد فأحاطت بهما وكادا يغرقان لولا مابذله من الجهد والهمة صيادو الشاطئ من ذوي النجدة والبسالة في انقاذهما من مخالب الموت غير مبالين بالخطر الذي كاد يذهب بقواربهم . من هنا ترين انني على بعدي عن العالم وحرماني من معرفة ما يحصل فيه قد قدرت ان أتحفك بهذا الخبر السار . اه

(٣) من اراسم الى هيلانه في ٨ يناير سنة ـ ١٨٥

أنا في السجن تتعاقب عليّ الساعات وكلها متشابهة لاختلاف بينها فليست الحياة هنا الا يوماً واحداً بسبب مايحرج الصدر ويضيق على النفس من توحد الاشياء وتشابه الاطوار وعدم تغير شيء منها . آه لو عادت اليّ نعمة العلم بما يقع في الخارج وليتني أعرف شيأ من اخبارك . قد منحتني ادارة السجن الحق في ان اخرج من مخدعي للتنزه كل يوم ساعة او ساعتين على رصيف مرتفع للسجن فأنا اصرف هذا الزمن في اجالة نظري والسياحة به فيما حولي من الاشياء لأتعرفها فاني للآن ما كنت اعرف شيأ في هذا المكان بل كنت اجنبياً منه بالمرة اذ كنت كميت القي في مكان لايدري اين هو وقد ابتدأت منذ اسبوع ان اعرف اين مستقري فتجديني الآن اهتم بتعرف شكل الاماكن المحيطة بي تعرفاً صحيحاً يبعثني على ذلك وجدان لاشك في انه عام في جميع المسجونين . لا يفك ناظراي عن اكتشاف مالم

اكن رأيته حال دخولي في السجن . واخالني قادراً على ان ارسم في الورق صورة ماالحدثه البحر في الشواطئ من التقطع فنشأت عنه الخلجان والرؤوس التي تمتد كالالسنة امتداداً افقياً وصورة الصخور التي تظهر قممها احياناً في ضوء الشمس ويختفي نصفها احياناً في ظلام الضباب البعيد . وقد عرفت ايضاً رسم البناء الذي يحويني وأوضاعه الهندسية الجميلة وتنظيماته الحربية ومعاقله الطبيعية ومنحدراته ومناطق اسواره . لم يكن اهتمامي بمعرفة ذلك مبنياً على تدبير حيلة للهرب كلا فقد حاول ذلك غيري من المسجونين وردوا بالخيبة لاننا اذا امكن ان ننجو ممن يقومون على حراستنا من العساكر والسجانين الذين يتعسر ان نخدع يقظتهم والتفاتهم فاننا لانتجو من المحيط والرمال الخاتلة بوعوثتها والعقبات الكثيرة الاخرى . وانما انا ابحث في ذلك عن طريقة اسلي بها نفسي واشغل بها فكري فلا شيء مني يريد الهروب والتخلص من السجن سوى عقلي . اه

(٤) من اراسم الى هيلانه في ١٠ يناير سنة ـ ١٨٥

اتعلمين ماللسجن عليّ من الفضل؟ انه ليعلمني ان اكون حراً ويرشدني الى معرفة ان الانسان عاجز عن الاستيلاء على انسان مثله فاني احس بذلك كلما تعاقبت عليّ الايام فيه واجد في نفسي نوعا من الفرح مشوباً بمرارة عند ماشعر من نفسي انها اكبر واقوى من ان يبهظها ثقل وطأة الظلم . ليست اسوار السجن الصوانية واغلاقه الحديدية وحفظته الايقاظ الا هباء في طريق العقل لاحوائل تحبسه وتمنعه من الجولان بل ان اشعة نوره تتخطى كل هذه العوائق ولا تقف عند شيء منها . ان عزيمة المسجون لتقاوم عزيمة ساجنه ومصفده وانه مهما جدّل وصرع فلا يستسلم وانه اذا كان على

شيء من العدل والحق فهو أشرف واسمى مكانا من علياء . عبثا يحاول هذا الغالب فالفكر كالهواء لايدخل في قبضة أحد . انه ليتيسر لدان يشد وثاق مسجون فليصل بعد الى اعماق قلبه وليأسر ماهنالك من عزة نفسه ومنعة وجدانه ان كان ذلك في قدرته ؛ هيهات هيهات تلك المنعة التي اجدها في نفسي تدعوني الى الثقة العظيمة بالمستقبل . لاأقسم بمخادع السجن الضيقة المظلمة ولا باشباح أولئك الذين ماتوا هنا في زوايا النسيان (مخادع في السجن مسماة بهذا الاسم معدة للمحكوم عليهم بالسجن طول الحياة) أو في اقفاص الحديد . ان الحق والحرية سيكون لهما النصر والظفر في هذه الدنيا

(٥) من اراسم الى هيلانه في ١٢ يناير سنة ١٨٥ــ

قد اهتديت بعد العناء الى طريقة ايصال هذا المكتوب اليك فسيصلك على يد .. الذي تفضل علي بان يكون رسولا بيننا على مافي ذلك من المخاطرة بنفسه . هذا يدلك على ان الانسان ان كان يحتف به في حالة الرخاء الجلساء المتملقون فهو لايسدم في الشدة ان يرى حوله أحياناً اصدقاء خامليين يخاصون له الود . وأختم قولي بانى لك طول حياتي

« امالي دينية ـ الدرس الرابع »

(٨) احكام العقل ـ الايمان هو تصديق العقل بقضايا الدين جزما في البعض وظنا في بعض الآخر . وقد قلنا في درس سابق ان العقل مشرق انوار الدين وانه يجب ان لايكون في الدين مايجزم العقل بامتناعه . واكثر كتب التوحيد التي يعلم بها في المساجد والمدارس مبنية على ان العقيدة الاسلامية هي معرفة مايجب لله تعالى وما يستحيل في حقه وما يجوز ا وما يجب ويستحيل ويجوز في حق الانبياء عليهم السلام وما ثبت بالسمع من من أحوال عالم الغيب الجائزة عقلا . والتصديق الذي فسرنا به الايمان حكم من أحكام العقل . والوجوب والاستحالة والجواز التي بنيت عليها كتب العقائد التي أشرنا اليها هي انواع الحكم العقلي التي رجع اليها جميع الجزئيات ولذلك أراني مضطراً لبيانها وان كنت أخذت على نفسي ان أجلي لكم المسائل الدينية غير متقيد بالاصطلاحات العلمية . قال امام الحرمين من لم يعرف أنواع الحكم العقلي ويفرق بينها فهو ليس بعاقل . أبين مفهوم هذه